استطلاع ثقافي

عن هموم المسرح العراقي

المسرح بين اشكالية التجاري والشعبي

مسرحيون: بحاجة الى خطة شاملة للنهوض بواقع المسرح

ظاهرة جديدة قديمة في الوسط المسرحي عادت مرة أخرى لتأخذ مكانها عند أهل المسرح، بعد أن شاعت في ظروف ملتبسة مر بها البلد، وسبب انحسارها في السنوات القليلة الماضية، هو السبب نفسه الذي كان فيه النشاط المسرحي بشكل عام غائبا. وأعني التصنيف الذي درج عليه أهل المسرح، بين مسرح تجاري وآخر جاد.
وهموم المسرح وفق هذا التصنيف والعلاقة المشتركة ما بين الاثنين، ربما هما فاصلة ذات دلالات متشابكة تأخذ معاني في متناقضات فهم العلاقة . المدى الثقافي حاولت أن تسلط الضوء على هذه الإشكالية باستطلاع آراء عدد من المشتغلين في هذا الفن.

استطلاع/ محمود النمر
تصوير: أدهم يوسف

في الثمانينيات قدمت اعمال لا تنتمي الى المسرح، بل هي مجرد "اسكيشات" فكاهية

المشكلة الأهم تتعلق بخطة شاملة للنهوض بواقع المسرح العراقي الذي يعد احد أهم المسارح في البلدان العربية

الفنان حيدر منعثر يذهب الى أن ما يسمى بعودة المسرح التجاري ينطوي على شيء من المبالغة ويقف عند عمل له يعرض منذ ثلاثة أشهر قائلا: للأسف بعض اللافتات وبعض المانشيتات في الصحف تكتب عن عودة المسرح التجاري وشيء من هذا القبيل، أرى انه لا بأس أن نحرك الشيء الراكد الآن بقدر ما يتعلق بعلاقة المسرح بالناس والجمهور، بمعنى انه أنا عندما اعرض مسرحية- انتربيت – منذ ثلاثة أشهر اعرف الغايات والأهداف التي أريد أن أحققها، مضيفا: نحن نريد أن نعيد مساءات بغداد ،ونريد أن نعيد السهرة المسرحية المسائية للعائلة العراقية، ولهذا أقدمنا على عرض هذه المسرحية منذ ثلاثة أشهر وبنجاح كبير على خشبة المسرح الوطني، طبعا هذه الخطوة أثارت اندفاع الآخرين لان يكرروا هذه التجربة ويقلدوها ولكن هنا المحاذير والخطورة ، من سيتقدم باتجاه المسرحية التجارية ؟ من سيتقدم باتجاه العائلة العراقية ؟ هل الهدف فقط الإضحاك والإسفاف ،أم الهدف أن تأتي العائلة العراقية إلى المسرح وتأخذ وجبة كافية من المتعة والفكر والفائدة والقيمة، وهذا ما نريده للمسرح الجماهيري ،أنا في فلسفتي الخاصة أؤمن بتقديم المسرح الجماهيري، وأريده أن يتحول إلى منبر ، منبر آخر باختلاف التوجهات هو أن يكون منبرا تنويريا تصحيحيا توجيهيا في هذه الفترة ولا نعتمد على منابر القنوات الفضائية ولا على منابر الخطب الدينية ،المسرح الحقيقي النبيل المرتبط بوجدان الناس ويؤدي خدمة كبيرة وعظيمة من الناحية الأخلاقية والفنية وحتى الوطنية ،إذا ما توفرت في داخله عناصر النجاح ، وعنصر الالتحام مع الناس، وعليه أقول بدأها حيدر منعثر في ٢٠٠٨ مع علي حسين في مسرحية (جيب الملك جيبه) وتواصلنا معاً ، والآن أنا أقدم – انتربيت – وهناك من يقدم في مسرح النجاح وفي مسرح- سميراميس - أنا أخشى ان تأتي موجة جديدة من العروض لا تليق بهذا المفهوم الذي أصرّ على تسميتها بالمسرحية الجماهيرية وليس التجارية .

الفنانة فاطمة الربيعي ترى أن الأهم هو فتح أبواب المسارح ليؤدي المسرح رسالته، وتنهض الفرق المسرحية بدورها في هذا المجال، وتبيّن: أنا عندي أهم شيء هو عودة الجمهور وخصوصا في المسرح الجاد، وهناك وسائل كثيرة لاستمرارية العروض، ويجب أن تكون هناك برامج سنوية للمسرح مثلما كان في السابق، أي ما يسمى بالمنهاج السنوي للمسرح الجاد ،ودعاية إعلامية حتى لا يتصورون أن المسرح منقطع ، وهناك أعمال ملتزمة وجادة وأعمال فيها بصمة وأعمال مهمة وأعمال غير مهمة ، والجمهور متواصل ،إذن نحن بحاجة إلى استمرارية وعودة العمل، والفرقة القومية عليها أن تعمل أعمالاً لكي تستمر.

× ومن يدعم الفرقة القومية؟

– دائرة السينما والمسرح لديها تمويل للأعمال من وزارة الثقافة تسمى – السلف التشغيلية – لدعم الأعمال، وعليها إعادة بنايات المسارح مثل مسرح الرشيد الذي اعتبره من أهم المسارح العربية ، وفي كل سنة نتأمل أن يعاد بناؤه لكنه يبقى على نفس الحالة ولا نعرف ما هو السبب.
وعن مفهوم المسرح التجاري أجابت الربيعي: في جميع أنحاء العالم توجد مسارح تجارية مستقلة، ويجب ألا تكون عروض المسرح التجاري على قاعة المسرح الوطني وهناك مسارح تجارية كمسرح – الزوراء – ومسرح النجاح وغيرها من المسارح والجمهور هو حر في اختيار العروض المسرحية.

الفنان والأكاديمي د. هيثم عبد الرزاق يجد أن المشكلة الأهم تتعلق بخطة شاملة للنهوض بواقع المسرح العراقي الذي يعد احد أهم المسارح في البلدان العربية، حيث أكد: إن المسرح لا يمتلك عافيته لسبب بسيط ،هو لأنه ليست هناك خطة او إستراتجية، لان المسرح هو مقترح اشتباكي مولود من المجتمع ويعد كوسيلة بناء الإنسان من خلال المسرح، ولهذا البلدان والمدن المتحضرة تلاحظ فيها المسارح منتشرة بشكل غير طبيعي، ولو تأخذ مثلا برلين أو باريس تلاحظ في داخل المدينة ما يقارب الـ ١٠٠ إلى ١٥٠ مسرحاً أو ربما يصل العدد من ٢٠٠ إلى ٣٠٠ مسرح ،لأن مسؤولية المسرح هي بناء الإنسان ،وهذه العملية تحتاج إلى خطة أساسية غير عشوائية، ترسم وتقرأ الواقع، وعلى المسرح أن يعيد قراءة هذه المشاكل ويعيد ترميم الإنسان وترميم الأدوات التي مرت به في حياته اليومية ، المجتمع العراقي مرّ بمشكلات خرقت شخصيته ، وعليه أيضا أن يعيد عافيته حتى يقدر على أن يعيد عافية الإنسان.

×ومن هو المعني بذلك ؟

– الدولة هي المعنية بذلك لأنه يجب أن تضع الدولة ميزانيات ، ولنفترض أن تكون ١٪ أو ٢٪ أو ٣٪ من الميزانية لوضع خطط لبناء الإنسان بوسيلة المسرح أو السينما ، والمسرح بالذات لأنه يوجد اتصال مباشر بين الإنسان المشاهد والإنسان على خشبة المسرح بالذات، إذن هناك خطة موجودة داخل إستراتيجية الدولة. الآن نرى ثقافة منفردة غير منظمة، أحيانا حتى هذه الدائرة تُحوّل إلى شركة ،ومع ذلك أقامت المهرجانات، وهي ضرورية جدا، لأنها تلتحم مع الثقافات الأخرى، فهذا المهرجان والمهرجان الذي كان في السنة الماضية هو وسيلة لعافية المسرح ولكن أيضا تبقى عشوائية وغير منظمة لأنها لا تمتلك اتصالا ولا تواصلا ، و عليه يجب أن نمتلك رؤية لعشر سنوات مقبلة.

× والسؤال هل مثل هذه الرؤية نمتلكها نحن، وهل هناك فعلا عودة أخرى للمسرح التجاري؟

– بالضبط أحيانا هناك تسمية اقتصادية تقول إن العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة من السوق ! والمشكلة هي في المسرح الجاد وليس في المسرح التجاري ، فانا لا استطيع أن ألوم المسرح التجاري فهو موجود في العالم كله ، ولكن هذا المسرح يقدم في الملاهي وفي أماكن خاصة ويذهب إليها أناس للتسلية، ولكن المسرح مرتبط بالمتعة، والمتعة مرتبطة بإعادة قراءة الواقع واكتشافه وإثارة المشاعر لقضية ما ، فالمتعة غير التسلية ، والمسرح الجاد يوما بعد يوم يبتعد عن الواقع ،والآن شاهدنا مسرحية هي عبارة عن طقوس كنائسية ليست لها علاقة بأي شيء، والمشاهد يتركها لأنه لا يرى حياته وهذه مشكلة المسرح الجاد، والثقافة يجب أن تستثمر وتجد لها سوقاً وهو الجمهور، ولهذا يجب على الفنان أن يستثمر ثقافته لبناء الإنسان وكسب المادة في الوقت نفسه، إذن يجب أن يتوفر في المسرح الجاد عنصر المتعة وعنصر العمق الحواري بينك وبينه ،وأنا أتوقع ان المسرح التجاري سيكتسح الساحة المسرحية العراقية لان هناك ضمورا وعدم اهتمام في المسرح الجاد من قبل ناس محترفين ومتخصصين لإعادة قراءة المسرح الجاد وكيفية تقديمه حتى نستطيع إعادة المشاهد الى المسرح الجاد ،كما يجب أن نراقب ونقرأ المجتمع مثلما يراقب عالم الاجتماع مجتمعه ويرى العيوب والمصدات الموجودة داخل المجتمع ، وان نعيد صياغته على خشبة المسرح حتى نفتح الحوار بيننا وبينه بطريقة ممتعة هذا هو المهم في المسرح، وهذا الذي لا يحدث!

الفنانة ليلى محمد لا تتردد عن تأكيد الفصل وترى أن ما يسمى بالمسرح التجاري استطاع أن يستقطب جمهورا واسعا ، مشيرة إلى أن تسمية المسرح التجاري قد وصلت في السابق إلى مستويات جيدة مثل مسرحية، المحطة، وبيت وخمس بيبان، ودهن حر، وأطراف المدينة، وسيدتي الجميلة، وكثير من المسرحيات، حيث كانت الكثير من المسارح مثل مسرح النجاح، والمسرح الوطني، ومسرح الرشيد ، ومسرح الطليعة ، وكذلك في شارع الرشيد ، والأعظمية، ومسرح أبو نؤاس الذي كان يستقطب الجمهور، وأتمنى أن تكون هناك المئات من المسارح.

× وأين أصبح المسرح الجاد؟

– المسرح الجاد هو مسرح النخبة، ومقتصر على فئة من الفئات وليس كل الشعب العراقي ،وفي كل الشعوب توجد هناك نخب، وهي مسألة طبيعية، وهو مثل المختبر، فهو يصنع الأشياء حتى يثقف باقي الجمهور، وهذا شيء مطلوب ، وهو يحضر النوع الجيد، فكل الأنواع لابد من أن تستمر حتى وان اختلفت العروض..

الكاتب المسرحي علي حسين يؤكد أن لا وجود لمسرح تجاري ومسرح غير تجاري، فالمسرح هو مسرح وإن اختلفت تسمياته، ويضيف: لا اعتقد أن هناك مصطلحاً في العالم بعنوان المسرح التجاري، فاليوم الثقافة والفنون جزء من حركة السوق التجارية .. فمسارح أوروبا وحتى بعض المسارح العربية ومنها المسرح التونسي تقدم أعمالها للناس وتحظى باستقبال جماهيري كبير، فهل يمكن أن نطلق عليها (مسرح تجاري). الكوميديا ديلارتي وأعمال موليير ماذا نطلق عليها؟. هذه هي الإشكالية التي يقع فيها الكثير من النقاد حين أطلقوا تسمية المسرح التجاري على معظم المسرحيات التي تقدم باللهجة الدارجة ، فيما الواقع يؤكد أن كثيرا من هذه الأعمال قدمت من خلالها أفكار كبيرة وناقشت مسائل حيوية واذكر منها ما قدمته فرق المسرح الفني الحديث وفرقة المسرح الشعبي في السبعينيات والثمانينيات وأيضا ما قدم من أعمال في التسعينيات منها: ملك زمانة لحيدر منعثر، وظل الحمار لغانم حميد، وهي أعمال شعبية حظيت بإقبال جماهيري كبير وناقشت مسائل مهمة مثل السلطة والاستبداد والحرية .. لكن في الوقت نفسه قدمت أعمال لا ترقى إلى المسرح أطلق عليها جزافا تسمية مسرح شعبي، وهي في الحقيقة لا تحمل من صفة المسرح شيئاً سوى أنها تقدم على المسارح، فهي أعمال اقرب إلى فن الكباريه وهو نوع من التمثيل كان يقدم في الملاهي الليلية حيث اشتهر بهذا النوع الراحل جعفر لقلق زادة ، هذا النوع من الاستعراض يقدم في العالم أيضا، ولكن لا يطلق عليه اسم مسرح .. ولهذا نجد اليوم أن الكثير من الأعمال التي لا تمت إلى المسرح بصلة أطلق عليها مسرحيات تجارية وأيضا الكثير من المؤدين لهذه المسرحيات ممن لا ينطبق عليه وصف الممثل أطلقت عليهم هذه التسمية، ولهذا اعتقد أن هناك ظلما كبيرا حين نقارن بين أعمال قدمها حيدر منعثر وغانم حميد ومحسن العلي ومحسن العزاوي والقدير قاسم محمد وبين أعمال لا تمت بصلة إلى المسرح، فنطلق على الاثنين مصطلح المسرح التجاري.

شيخ المسرحيين العراقيين الفنان سامي عبد الحميد يرى بأن هناك سوء فهم في هذا المصطلح فالمسرح منذ نشاته هو مسرح للناس، صحيح هناك تجارب قدمت فيها اعمال لم تحظى باقبال جماهيري لكنها ايضا قدمت لجمهور معين من الناس. اذن القضية تتعلق بنوع الجمهور هناك جمهور النخبة الذي تستهويه مسرحيات من طراز مسرحيات صموئيل بيكت وشكسبير وتجارب المسرح الحديث وهناك جمهور يبحث عن اعمال يوسف العاني وقاسم محمد وسعد الدين وهبة وسعد الله ونوس حيث حقق هؤلاء الكتاب المعادلة الصعبة في الجمع بين جودة العمل وقوة افكارة واقبال الناس عليه. لقد استطعنا في فرقة المسرح الفني الحديث ان نقدم هذا النموذج من الاعمال فكان ان قدمنا مسرحيات حظيت باقبال جماهيري كبير كاعمال يوسف العاني وقاسم محمد وبعض المسرحيات العالمية التي عرفت وهذه المسرحيات تعد اليوم من علامات المسرح العراقي وجزءاً من تراثه المشرق، كذلك قدمت الفرقة القومية وفرقة المسرح الشعبي ومسرح اليوم اعمالاً لاتزال خالدة مثل البيك والسايق وفوانيس واعمال عادل عادل كاظم وطه سالم. الا ان الذي حدث في الثمانينيات ان قدمت اعمال لاتنتمي الى المسرح بصلة اطلق عليها اسم مسرحية وهي مجرد اسكيشات فكاهية لايربطها رابط، لايوجد نص وانما الارتجال سيد الموقف وهو ارتجال ساذج يلهث وراء الجمهور.. المسرح واحد في كل الازمنة والعصور وهو يقدم للناس، فلا مسرح بلا جمهور، ولكن ما قدم عندنا للاسف ليس بمسرح ويمكن ان تطلق عليه اي تسمية باستثناء اسم المسرح.

لا وجود لمسرح تجاري ومسرح غير تجاري، فالمسرح هو مسرح وإن اختلفت تسمياته

من مسرحية (النخلة والجيران) عام ١٩٩٦

نريد أن نعيد مساءات بغداد، وأن نعيد السهرة المسرحية المسائية للعائلة العراقية

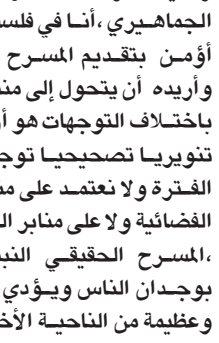

الأهم هو فتح أبواب المسارح ليؤدي المسرح رسالته